مقذعة مخيفة ، حتى لقد فزع أحدُهم حين سمع كافراً يُشبهُ الكعبة بكومة الطعام ، والحجاج الذين يسعون إليها كالحمر الهائمة ، ولمَ لا يفزع الناس حين يصوّر الأصمعي آل برمك بهذه الصورة وهم الأمراء الحكام فيقول :

إذا ذكرَ الشركُ فى مجلس أضاءتْ وجوهُ بنى برمك
وإن تليتْ عنـــدهُ آيـــةٌ أتَوْا بالأحاديث عن مزْدَك

فقد مدحهم من قبل ، فلما نكبوا ذكر الحال التى كانوا عليها ، وهجاهم مر الهجاء لحياتهم التى سلكوها ، وسلكها معهم كثيرٌ من محبيهم والمنافقين حولهم ، وإذا كان الأمراء كذلك فالشعراء وصفوا الخلفاء بأبشع الوصف لحياتهم آنذاك قال بشار :

بنى أميةَ هبوا طال نوْمكمُ إن الخليفة « يعقوبُ بنُ داود»
ضاعت خلافتكم يا قوم فانتظروا خليفة الله بين الزق والعـــود

فهو يعيب على الخلفاء لهوَهم ، وإضاعة الملك بين الزق والعود بينما الشعب يتضور جوعاً ويعيش حياة لا تشرف الحكام . وهجا دعبلُ الخزاعى المعتصمَ لتعصبه للأتراك وحمايته لهم ، فقال :

لقد ضاع أمرُ الناس حين يسوسهم «وصيفٌ» «وأشناسٌ» وقد عظم الخطبُ
وإنى لأرجو أن ترى من مغيبها مطالع شمس قد يغص بها الشربُ
وهمك تركىٌّ عليـــه مهانـــةٌ فأنتَ لـــه أم وأنتَ لـــه أبُ

وهذا دليل على تذمر الشعب من حال الحكم وتسلط الأتراك على الخلافة وتسييرهم على هواهم ، حتى لقد قال شاعرهم :

خليفـــةٌ فى قفـــصٍ بين « وصيف » « وبغـــا »
يقـــولُ مـــا قالا لـــهُ كمـــا يقـــولُ الببغـــا

وليس فى الهجاء أبعد من هذا فى تناول الخلفاء وتصوير شأنهم وهوانهم وقلة همتهم فى ذلك العهد ، واضطراب الوضع . فقد كان الخليفة لا يملك أمراً من أمور الحكم ، وما من شىء فى يديه ، وإليه تحمل الأموال ويمنع مما يجبى